المشرق

مدارس الوزراء في عهد الخلفاء

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي البغدادي

ان الامّة كلما زادت تقدُّماً زاد اعتناؤها بفتح المدارس واغناء عددها وتعليم الفنون والعلوم والصنائع المختلفة والمناسبة لحاجيّاتها ونشّطت ابناءها السائرين في نهج التقدم ولذا اصبح تعدد معاهد العالم من ادلّ العلامات على ارتقاء الامة معارج الفلاح والنجاح والعكس بالعكس (١ . ومن ثمّ سمّى البعض هذا العصر « عصر النور » لما في نفس ارباب الامر من الدأب في تحسين حالة صروح الادب واغناء عددها ورفع اعلام علومها وتعديدها وترقيتها

وعلى هذا الوجه كان ارتقاء العرب في « عصر زهر رياض ازمنتها » فان جُلّ اعتناء الخلفاء ومن اخذ اخذهم كان مصروفاً وراء تشييد المدارس واعلاء كعبها ومقرلتها كما واعلاء امر معلّميها ومتعلّميها حتى قال السيوطي في محاضرة مصر : « اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتّب فيها المعالم من الموّاجب والأرزاق نظام الملك (في عهد بني العبّاس) يعني هو اول من بنى في العراق » اه

ونظام الملك هذا وُلد نحو سنة ١٠١٧ م ومات سنة ١٠٩٢ فهو الذي بنى في بغداد المدرسة التي سمّيت باسمهِ اي المدرسة النظامية . ولما صار الامر الى المستنصر سنة ١٢٢٦م جارى نظام الملك في تعمير مباني العلم ومن جملتها المدرسة التي بناها في دار السلام وقبّة الاسلام وعُرفت باسمهِ ايضاً اي المستنصريّة كما سيرد ذكرهما عن قريب

(١) راجع في هذا البحث ما كتبهُ ابن خلدون في مقدمته . الفصل الثالث من الفصل السادس من الكتاب الاول : « في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة »

واما قبل هاتين المدرستين الشهيرتين فكان في الزوراء عدة كتاتيب ومداريس وكانت في المساجد او تجاور الجوامع يتلقّى فيها الطلبة اصول الدين والعلم أو كانت الناشئة تتردّد على الائمّة في بيوتهم لالتقاط درر المعارف من بُحور صدورهم . او ان اكابر المدينة كانوا يستدعون اليهم مشاهير العلماء والاساتذة فيُقرئون اولادهم الفنون ويهذّبونهم احسن تهذيب على الطريقة المتعارفة يومئذٍ

وكان في بغداد مدارس جمة مبثوثة في جميع أحيائها ومحلاتها ولسوء الطالع لم يتعرض لذكرها بنوع خاصّ المؤرخون والاخباريُّون . وانما ذكروها استطرادًا في بعض ابحاثهم . وها نحن قد جمعنا بعضاً منها وحرصاً على حفظها ندرج اسماءها في هذه المجلّة ريثما يتيسّر لنا الوقوف على غيرها . ونذكرها هنا على حروف المعجم

وقبل ان نركض جواد قلمنا في ميدان هذا البحث الجليل نلاحظ ان المراد هنا بالمدرسة ما كان يريد به اهل بغداد في سابق الزمان اي ما يقابلهُ اليوم المكتب الثانوي أو المكتب العالي . وليس المراد به ابدًا الكتّاب او المدراس يعني المكتب الابتدائيّ او الاوليّ او الاستعداديّ . واذ قد مهّدنا ذلك نقول :

١ « الأزج » مدرسة أول في باب الازج

باب الازج محلة كبيرة من اكبر محلات بغداد سابقًا وسبب تسميتها بالباب ان اغلب احياء هذه المدينة كانت مسوّرة وفضلًا عن ذلك كانت تُفضي الى باب وهذا الباب كان يُقفل ليلًا او عند مهاجمة العدوّ لدفعهِ عن إلحاق الضرر باهل تلك المحلّة . ولهذا فاكثر محلات بغداد كانت تبتدئ بكلمة باب فيقال باب العامّة وباب الشارع وباب سوق الشعير الخ . وحتى في هذه السنين الاخيرة كان في مدينتنا مثل هذه المحلّات واليوم يوجد محلة تُعرف « بباب الرواق » تُغلق ابوابها ليلًا . ومنها محلات قُلعت ابوابها . الّا ان اسماءها باقية عليها ومنها باب المعظم . والباب الشرقيّ وباب الكاظم . الخ

وعلى هذا النحو قالوا باب الازَج للمحلّة التي نحن في صددها . ومما كان يميّزها عن سائر الحارات المضافة الى اسم « باب » ان باب الازج كان يُدخل الى محلّتها بأزَجٍ معقود في صدرها . والازج بيت يبنى طولًا وبالفرنسيّة : (portique voûté) قال ياقوت في معجمهِ عن هذه الحارة : باب الازج محلّة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحالّ كبار في شرقيّ بغداد فيها عدة محالّ كل واحدة منها تُشبه ان تكون مدينة . ينسب اليها

الأزجيّ . والمنسوب اليهـا من اهل العلم وغيرهم كثير جدًّا » . وهذا كلام يُشعر بأنّ سكان هذا الحيّ كانوا من اهل العلم والدراية وان مدارسهُ كثيرة جمّة . . .

فمن مدارس باب الازج مدرسة كان يُطلق عليهـا : « مدرسة باب الازج » بُنيت خاصّة للدمشقي يوسف ابن رمضان بن بندار المشهور بابي المحاسن الدمشقي الفقيه الشافعي . قال ياقوت في معجمه (٢ : ٥٩٨) : « كان ابوه قُرْقوبيًّا (١ من اهل مَراغة . وولد يوسف بدمشق وخرج منها بعد البلوغ الى بغداد وصحب اسعد المِهيَنيّ واعاد لهُ بعض دروسهِ ثم وَلي تدريس النظاميّة ببغداد مدة وبُنيت لهُ مدرسة بباب الأزج وكان يذكر فيهـا الدَّرس . ومدرسة أخرى عند الطيوريين ورحبة الجامع . وانتهت اليهِ رئاسة اصحاب الشافعي ببغداد في وقتهِ . » اه المقصود من ايرادهِ

٢ مدرسة ثانية في باب الازج

بناها ثقة الدولة ابو الحسن عليّ بن محمّد الدُّوَيني القزويني ايام المقتفي لامر الله الخليفة العبّاسي . (عن ابن الاثير)

٣ مدرسة ثالثة

منسوبة الى ابي حكيم ابرهيم بن دينـار بن احمد بن الحسين بن حامد بن ابرهيم النَهرَوَانيّ البغدادي الفقيه الحنبلي شيخ صالح . قال ياقوت (٤ : ٨٥١) : « نزل باب الأزج ولهُ هناك مدرسة منسوبة اليهِ تفقّه على ابي الخطّاب محفوظ بن احمد الكلواذاني . وكان حسن المعرفة بالفقه وللناظرة تخرّج بهِ جماعة وانتفعوا بهِ لخيرهِ وصلاحهِ . » اه

٤ المدرسة البلطانيّة

هذه المدرسة جاء ذكرها في كتاب « كُلشن خلفاء » التركي العبارة لمؤلفهِ مرتضى نظمي زاده البغداديّ المتوفى سنة ١١٣٧ﻫ = ١٧٢٥م وعلى راي آخر انهُ توفي سنة ١١٣٦ﻫ = ١٧٢٣م . فقد قال في ص ١٢ من مخطوطنا مـا هذا معناهُ : « . . . وهذه النُقول عن مباني بغداد وتاريخها نقلتُها من التاريخ الصغير للمؤرخ الشهير بالخطيب (٢

---

١) القُرقُوبيّ نسبةً الى قُرقوب وهي بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والاهواز وكانت تُعدُّ من اعمال كسكر (عن ياقوت) وابو يوسف بن رمضان كان قُرقُوبيّ المولد مَراغيّ المنشاء

٢) اسم الخطيب يقع على عـدة علماء ومؤلفين ومؤرخين الّا ان صاحب « كُلشن خلفاء » يريد هنا « الخطيب هبة الدين الدبري البغدادي (كذا) كما يتضح ذلك من بقيّة كلامهِ ونحن لم

اما تاريخهُ الكبير ففيهِ من تراجم الرجال الكتب واسمائها ورواة الحديث وكتبهم مما لم يُسمع بهِ قبلاً مما يضيق عنهُ نطاق الحصر

من ذلك ان المدرسة البلطانية فيها من الكتب ما يبلغ فهرسها ٣٦٠ مجلداً اما عدد خُزّانها فيبلغ ٥٠ شخصاً . والمدرسة المذكورة تشتمل على اربعة آلاف حُجرة (١ (casiers) وراتبها في اليوم عشرون الف رغيف وعشر بقرات ومائة كبش . وراتب مدرّسها وهو الشيخ قوام الدين (٢ مائة رغيف وكبش واحد وخمسون درهماً في اليوم » . انتهى ما ذُكر في تاريخ الخطيب البغدادي وذلك في عهد المتوكل . (ص ١٤ من نسختنا الخطيّة)

على اننا قد بحثنا في ما عندنا من الكتب وما وصلت يدُنا اليهِ منها فلم نعثر على ذكر هذه المدرسة فلعلّ النظر في تاريخ الخطيب هبة الدين الديري البغدادي يُزيل

نعثر على هذا الاسم في ما لدينا من الكتب . والمشهور من كتبة تاريخ بغداد باسم الخطيب البغدادي هو : أبو بكر الخطيب الحافظ احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي بن ثابت البغدادي وهو الذي ذيل كتاب تاريخ بغداد الذي اول من كتبهُ احمد بن ابي طاهر البغدادي فذيّلهُ الخطيب فوقع تأليفهُ في اربعة عشر مجلّداً . ولا يبعد ان يكون هذا هو المطلوب هنا فذكرهُ صاحب كلشن بلقبهِ هبة الدين وذكرهُ غيرهُ بلقب الخطيب . واما الدّيري البغدادي فيكون نسبةً الى دير كان في بغداد او بجوار بغداد كدير اشموني كان بقطربل وكان من اجل متنزهات بغداد . ودير الثعالب وهو دير مشهور وكان للناطرة بينه وبين بغداد ميلان او اقل في كورة نهر عيسى على طريق صرصر . وكان بجانب قبر معروف الكرخي بغربي بغداد الموجود الى يومنا هذا ديران كان الواحد منهما عند باب الحديد وباب بَقْبَرّى . والآخر الى جانب القبر ايضاً وبهِ سُمّيت المقبرة باسم « مقبرة باب الدّير » وهي تعرف اليوم بمقبرة الشيخ معروف الكرخي . وكان في جوار بغداد « دير الجاثليق » وكان فيهِ مقام الجاثالقة اي مُقدّمي اساقفة الناطرة . وكان موقعهُ عند باب الحديد قرب دير الثعالب في وسط العمارة بغربيّ بغداد . والاديرة في بغداد وما جاورها كانت كثيرة اغلبها للناطرة . ولو اردنا تتبُّعها لطال بنا المقال فلا جرم ان الخطيب نُسب الى دير من اديرة بغداد فصحّ عليهِ نسبهُ الى دير والى بغداد معاً

١) نظن ان المراد بالحجرة هنا « الخانة » وبالفرنساوية casier

٢) قوام الدين المذكور هنا كان معاصراً للخطيب البغدادي بما انهُ هو الذي يذكره . والخطيب البغدادي وُلد في جمادى الآخرة سنة ٣٩٢ هـ = ١٠٠١ م) وتوفي في ٧ ذي الحجة سنة ٤٦٣ = ١٠٧٠ م فيكون قوام الدين من اهل المائة الخامسة هجريّة . ولم نقع على ترجمتهِ في ما عندنا من كتب التاريخ

الشبهة عمَّا في هذا الكلام من المبالغة او ما يقرب منها. هذا واننا لا نعرف الى اي اسم نسبت هذه المدرسة ولا من هو هذا بلطاس. فهل من باحث يُفيدنا عمَّا نحن فيه من امر هذه المدرسة ومنشئها ؟

٥ً المدرسة البهائية

هذه المدرسة كانت مجاورةً للمدرسة النظامية وكان يقرب منها ايضاً بيمارستان يُعرف بالبيمارستان التُتُشي وكان مَفتَحُهُ في سوق تُتُش. وهذه المدرسة هي غير المدرسة التُتُشيَّة. هذا الذي عثرنا عليه في كتب التواريخ ولم نرَ أزيد من هذا القدر في هذا الصدد

٦ً المدرسة التاجية

قال ياقوت (في ١ : ٨١٠) : التاجية منسوبة. اسم مدرسة ببغداد ملاصقة قبر الشيخ ابي اسحاق الفيروزاباذي. نُسبت اليها محلة هناك ومقبرة. والمدرسة منسوبة الى تاج الملك ابي الغنائم المرزبان بن خُسرُو فيروز المتولي لتدبير دولة ملكشاه بعد الوزير نظام المُلك اه. بناها نحو سنة ٤٨٢ هـ — ١٠٨٩م وكانت بجوار باب ابرز. وفي عصر السلجوقيين اتُخذت مقبرة باب ابرز مدفناً لعدة رجال من مشاهير العراق

وتاج الملك هذا قتلهُ المماليك النظامية سنة ٤٨٦هـ = ١٠٩٣م وكان كثير الفضائل جمَّ المناقب لهُ الاعمال المأثورة وهو الذي بنى تربة الشيخ المذكور وكان قد رتَّب في المدرسة التاجية الشيخ ابا بكر الشاشي. وكان عمرهُ لمَّا قُتل ٤٧ سنة وذكرهُ مشهور في التاريخ. راجع ابن الاثير ومختصر الدول لابن العبري

٧ً المدرسة التُتُشيَّة

قال ياقوت : تُتُش التاءان مضمومتان والشين معجمة وهو اسم رجل يُنسب اليهِ مواضع ببغداد. وهي : سوق قرب المدرسة النظامية يقال لهُ : العَقَار التُتُشي. ومدرسة بالقرب منهُ لاصحاب ابي حنيفة يُقال لها : التُتُشيَّة. وبيمارستان بباب الازج يقال لهُ : التُتُشي. والجميع منسوب الى خادم يُقال لهُ : « خمار تكين » كان للملك تاج الدولة تُتُش بن ألب ارسلان بن داود بن سلجوق. . . ومات في رابع صفر سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤م). له المقصود من الاستشهاد بهِ

٨ً مدرسة زَبرَك (١ او مدرسة سُوق العَميد

قال ياقوت في مادة لامغان: ... « وقد نُسب اليها جماعة من فقهاء الحنفية ببغداد منهم مَن رأيناهُ وادركناهُ: القاضي عبد السلام بن اسمعيل بن عبد الرحمان بن عبد السلام بن الحسن اللامغاني ابو محمّد القاضي الفقيه المُتقن من اهل باب الطاق ومشهد ابي حنيفة. سكن دار الخلافة بالمطبق وتفقّه على ابيهِ وعمّهِ ودرّس بمدرسة سوق العميد المعروفة بزَبرَك (١ .. وسُئل عن مولدهِ فقال في سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) بمحلّة ابي حنيفة. وتوفي في مستهل رجب سنة ٦٠٥هـ (١٢٠٨م) ودُفن بمقبرة الخيزُران بظاهر مظهر ابي حنيفة » اه

٩ً مدرسة في محلّة الطبوريّين

وقد مرّ ذكرها في مدرسة باب الأزج الاولى

١٠ً المأمونيّة

لم يتعرّض لذكرها ياقوت الحمويّ. وذكر ابن ابي أُصيبعة في كتاب عيون الانباء قال في الفهرس « المدرسة (٢ المأمونية ببغداد ٢٠٣ » ولم نجد ذكرها في الصفحة المذكورة. ولا غرو انهُ قد وقع خطأ في الرقم (٣ . وعلى كل فمن عرفَ وسمع مقدرة المأمون في العلم وعرف منزلتهُ من الدراية لا يتعجّب من بناء مدرسة جامعة أفضل المزايا واحسن الوسائط وأقربها الى تحصيل العلوم والفنون

١١ً المُستَنصريّة

قد تعرّض لذكرها المشرق مرارًا عديدة (منها في ٥ : ١٦٤ و ٩٦١ وفي ١٠ : ٨٠) حتى اصبح المشرق من اعظم الكتب التي بحثت عنها هذه المدرسة. ومن ثمّ فلا افادة في الاعادة. الّا اننا نذكر هنا ما لم يذكر في المواطن التي اشرنا اليها. ليكون الواقف على ما في هذه الجملة محيطاً بجميع ما كُتب عن هذه المدرسة الطائرة في الآفاق. اما موقعها

---

١) زَبرَك لفظة فارسية الاصل استعملها الترك ومعناها الحاذق الجيد . وهو لقب او اسم كثيرين من الفرس والترك ولا نعلم من هو المراد به هنا

٢) والمأمونية اسم محلّة عظيمة كانت في بغداد تُسمّى اليوم « بباب الشيخ وقَضوة عرب » وهي منسوبة الى المأمون امير عبدالله بن هارون الرشيد. ولعلّ المراد هنا مدرسة في المأمونيّة وعلى كلّ فالمأمون صاحب كلا الامرين

٣) هي مذكورة في الجزء الثاني ص ٢٠٣ (المشرق)

بالنظر الى سابق العهد فمن الموكد انها كانت قد بُنيت في داخل حدود باب الغربة . ومن الممكن على ما يظهر من بناياها الحالية انها كانت في جنوبيّ هذه المحلة يعني في الموطن الذي كان فيهِ جزء من الفسحة التي كان يقوم عليها سابقًا القصر الحسني الاول وكانت دجلة تغمر احد جُدرانهِ . واليوم لا يبقى ادنى رسم او اسم لتلك القصور قصور الخلفاء التي كانت تجاور المدرسة المذكورة

ومما يزيدنا اسفًا على عدم معرفة هذه المدرسة بالنسبة الى ما كان يدانيها من البنيان والعمارة ان بناءها تمَّ سنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٤ م فلم يمكن لياقوت الحموي ان يتكلم عنها في كتابهِ الذي لم ينسج على منوالهِ احدٌ ممَّن تقدمهُ . وكان هذا الكاتب العلامة قد فرغ من تأليف سفرهِ بزمان وجيز قبل اقامة هذا الصرح العلميّ الجليل . ومن ثمَّ فلا يمكننا ان نعرف « على التحقيق » على اي رسوم قديمة شُيِّدت اركان هذه المدرسة التي تغنّى بمديحها كل غادٍ ورائح . وفاح من عبير نشرها اطيب الروائح . فلا غرو اذا اسف على فقدها المعاصر . واهل الزمان العابر والغابر . ولا جرم ان غاية المستنصر بالله عندما رفع دعائمها كانت مُناوَأة المدرسة النظامية ان لم نقل كانت نيتهُ تعفية اثار تلك المدرسة اختها البكر التي بُنيت قبل نحو قرنين

كانت المستنصرية من اعظم المدارس واشهرها ذكرًا . واعظمها قدرًا . واعلاها كعبًا . وارحبها قعبًا . وكان فيها على رواية ابن الفُرات « دار كتب » جمعت من الأسفار اندرها . ومن المواضيع اخطرها . وكان فيها المخطوطات الروائع . في جميع العلوم والآداب والفنون والصنائع . كلها حسنة التنسيق والتبويب . والنظام والترتيب . حتى ان الباحث كان يستطيع بسهولة كلية ان يستشير ايَّ كتاب اراده في المواضيع العلمية والادبية . بدون ادنى عناء . وبدون ان يأخذهُ شيء من الوناء . وكذلك اذا اراد احد الطلبة او بعض الكتبة . نسخ او استنساخ بعض مصنفات تلك الخزانة في جميع الابواب . فان قُوّامها كانوا يمدُّونهُ بما يحتاج اليهِ من الحبر والورق والقلم بدون ادنى أجرة او حساب

وذكر ايضًا ان المدرسة كانت تُنير المصابيح للطلبة ليلًا اذ كانت تذخر عندها الكمية اللازمة لهذه الغاية على مدى السنة . كما انهُ كان هناك مُزمَّلاتٌ لماء الشرب . وكان على وجههِ الايوان الاكبر « صندوق ساعات » وهي التي ورد ذكرها في المشرق مرارًا عديدةً تنبِّه المتخرّجين على اوقات الصلاة والدرس والقيام بما تنتدب لهُ شُئن

المدرسة وهي لا تبطل ليلًا ولا نهارًا. وكان الخليفة قد اخذ على نفسهِ القيام بما يُوصل هذه المدرسة الدرجة القصوى من التحسين والكمال الممكن. ولذا كان يتعهدها كل يوم بدون ان يخالف ابدًا هذه الخطة التي اختطها لنفسهِ وكان قد اتخذ لهُ بستانًا خاصًا بهِ وبنى فيهِ منظرةً يشرف منها على هذه المدرسة. وكان من عوائدهِ المألوفة انهُ يختلف الى تلك المنظرة ويُسرّح منها طائر بصرهِ على احدى ساحات المدرسة من وراء كوّة او طاقةٍ عليها ستر معلّق بحيث يَرى ولا يُرى وينظر ويلاحظ كل ما يجري داخل ذلك الصرح العلمي ويسمع تدريس المدرسين وقراءتهم كما انهُ كان يقف ويطّلع على حسن استعداد الطلبة والخرّجين لتلقي الدرس

وبعد ان مضى على تشييد هذه المدرسة مائة سنة زار ابن بطوطة بغداد سنة ٧٢٧ هـ — ١٣٢٧م فتكلم عن هذه المدرسة التي افلتت من يد المغول بل من يد الغُول ولا افلات جرادة العيّار فقال (٢ : ١٠٨ من الطبعة الباريسية)

« وفي وسط هذا السوق (سوق الثلاثاء) المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تُضرب بحسنها. وفي آخرهِ « المدرسة المستنصريّة » ونسبتها الى امير المؤمنين الظاهر ابن امير المؤمنين الناصر وبها المذاهب الاربعة لكل مذهب ايوان فيهِ المسجد وموضع التدريس وجلوس المدرّس في قبة خشب صغيرة على كرسيّ عليهِ البُسط ويقعد المدرّس وعليهِ السكينة والوقار لابسًا ثياب السواد مشتملًا. وعلى يمينهِ ويسارهِ معيدان يُعيدان كل ما يُمليهِ. وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الاربعة. وفي داخل هذه المدرسة الحمّام للطلبة ودار الوضوء. »

وبعد ابن بطوطة باثنتي عشرة سنة كتب حمد الله الكاتب القارسي واصفًا تلك المدرسة احسن وصف معتبرًا اياها من احسن المباني الموجودة يومئذٍ في الزوراء. وقد بقيت على تلك الحال الحسنى حتى حلّ بها ما حلّ فلم يبقَ منها الّا ما جاء وصفهُ في المشرق

ومما يتعلّق ببعض التعلق بالمستنصريّة جامع يُعرف « بجامع القصر » رمّمهُ المستنصر وهو الذي كان قد بناهُ الخليفة عليّ المقتفي. ومما زاد المستنصر على بنائهِ بعد ترسيمهِ اربع دكّات في غربي المنبر كان يجلس عليها طلبة المستنصريّة فيتناظرون ويتباحثون ويتجادلون ويتناقشون بعد صلاة الجمعة. وبقايا هذا الجامع شاخصة الى يومنا هذا وهي واقعة اليوم في وسط محلّةٍ تعرف « بمحلة سوق الغزل ». والماثل منها احسن مُثول مئذنة تعرف « بمنارة سوق الغزل » وهي المنارة الوحيدة الموجودة في بغداد من عهد الخلفاء

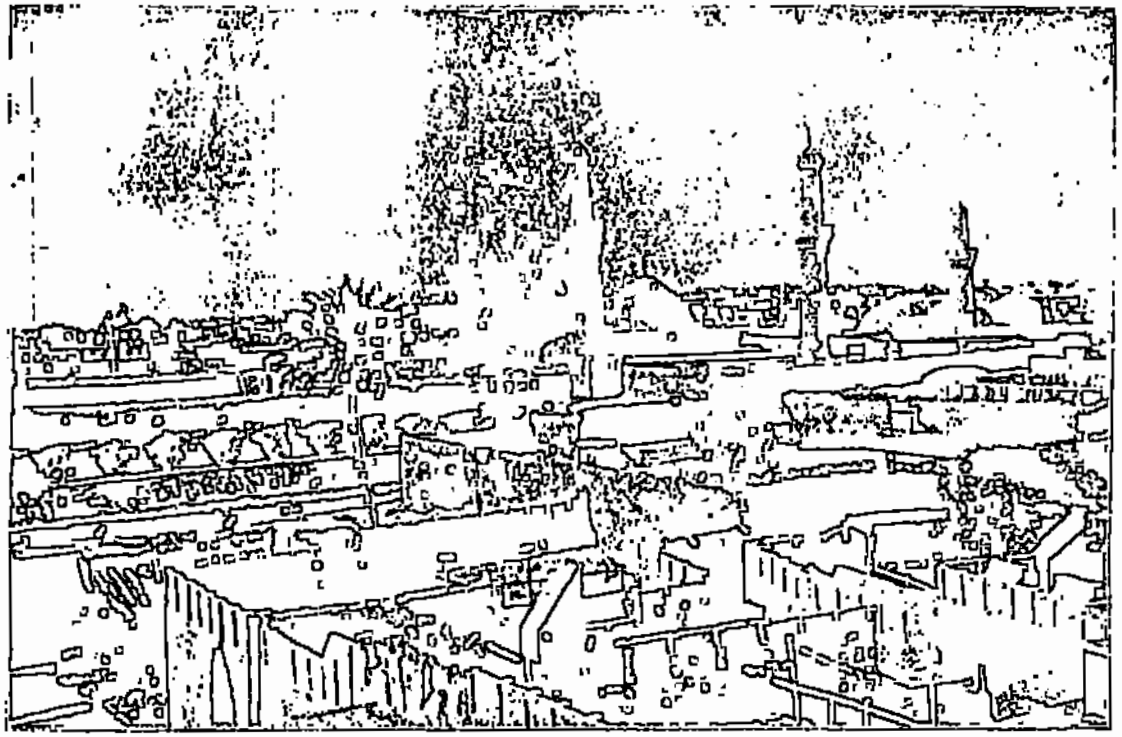

صورة بقايا المدرسة المستنصرية رسمها بالشمس الاخ اوجنيان من جماعة الاخوة المريمين

العباسيين . وقد حاول الاعداء مراراً عديدة ان يصرعوها ويجندلوها على الارض فوقفت في وجههم كالجبّار العنيد او كالصنديد الباسل بالوَليد . وهذا الجامع « جامع القَصر » لا يبعد الّا سبع دقائق عن موقع بقايا واطلال المستنصريّة (انظر الصورة)

ولمّا زار بغداد الرحالة الافرنجي تيبير سنة ١٧٥٠ وجد مطبخ المستنصريّة بيتاً لكل ذي عيلين وكان قد أتخذ خاناً للوزن والقبانة ونسخ عنهُ كتابة غير الكتابة التي ورد ذكرها في المشرق (١ (٥ : ٩٦٢) وهي غير الكتب التي تُرى اليوم (٢ . وكذلك وجد كتابة مطوّلة قراها على أطلال الجامع (٣ . وتاريخ كتابتها سنة ٦٣٣هـ = ١٢٣٦ م وهي ولا شك في ذلك سنة تتمة ترميمهِ على يد هذا الخليفة حليف الآداب والعمران والاناقة ولعلّ هذا الجامع كان من دوَارس « جامع الخلفاء » الذي كان قائماً قريباً من دار الخلافة في الجانب الشرقيّ على ما يشهد عليهِ ابو الفداء والقزوينيّ وابو

---

١) واليك صورتها : « قد امر بانشاء هذه المدرسة الشريفة لطلّاب العلم وتسمّى المدرسة العظمى . [من مكّن] دولة العزّ واسعد الخلائق [ب] المحجة البيضاء . [الخليفةُ] عند الله وخليفتهُ في ارضهِ الخليفة ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين اتمّ الله المسلمين باعزاز سلطانهِ وابّد دولتهُ بطول حيانهِ وذلك سنة ستمائة وثلاثين . » والظاهر ان الذي كتب لتيبير هذه الكتابة كان جاهلاً ولا اظن انهُ نقل ما كان مكتوباً هناك بحرفهِ بل بمعناهُ وان كان تيبير يقول انهُ قابلها على الاصل لان الاغلاط الموجودة فيها وركاكة العبارات تشهد بذلك . فما وضعناهُ بين معكفتين هو من زياداتنا لتقويم العبارة . والناقل كان قد كتب العظمى : العُظا . وستمائة : ستة مائة

٢) وهذا نقل الكتابة الموجودة اليوم على وجه جدار الكُمرك « ما شاء الله كان . — بسم الله الرحمن الرحيم . وليكن منكم امّة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . — قد كان أنشئ هذا البناء في زمن خلافة عبدالله ابي جعفر المنصور المستنصر بالله العباسيّ في سنة ثلاثين وستمائة . وقد تجدّد تعميرهُ في زمن خلافة ظلّ الله الاعظم المسدود ظلّ رأفتهِ على مفارق الامم مجدّد قوانين اجداده العظام سلاطين آل عثمان مجدّد جهات العدل والاحسان السلطان ابن السلطان حضرة السلطان عبد العزيز خان ابن السلطان الغازي محمود خان لا زالت البلاد بسلطانهِ مسرورة ولا برحت العباد بفيض احسانهِ مغمورة . آمين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى آلهِ وصحبهِ اجمعين وكان ذلك في سنة اثنتين وثمانين والف . كتبهُ المذنب بكر الصدقي عُفي عنهُ . » اه

٣) وهذا نَقل ما كان مكتوباً في عهد تيبير وهو محقّى اليوم : « امر بعملهِ سيدنا ومولانا الامام المستنصر بالله امير المؤمنين على الله تعالى سالم الاسلام جمعهِ الليّنة وأزهى دعائم الايمان بآيات اوليائهِ وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (١٢٣٥م)

الفرَج وابن الفرات وابن بطوطة وراجع تزهـة القلوب لحمد الله الكاتب الفارسي (في ص١٤٨) . هذا ولسان المدرسة ينشد اليوم:

بعد القراءة والتدريس ليس بها غير الصَدَى وغُراب البَين ينعبها
ان تسعد الارض او تشقى فلا عجب فَللزمان صُروفٌ في مَغَانيها
(لهُ تتمة)

لبنان

نظر في اشغالهِ العموميَّة وزراعتهِ ومستقبلهِ الاقتصاديّ

للاديب اميل افندي خاشو سر مهندس لبنان سابقًا (تتمة)

تسميد الاملاك

ومن الابحاث التي تمسّ الزراعة السَّمادُ واصنافهُ فلا يمكنني ضرب الصفح عنهُ لكنني لا اتجاوز الكلام العموميّ في ذلك

معلوم انَّ التربة اللبنانية من اصلها قويَّة مخصبة لكنَّ طبقات هذه التربة الزراعيَّة ليستْ عميقة ولذلك تضعف بعد زمن قليل إن لم يُسرع الفلَّاح الى تقويتها بالتسميد. وكان ارباب الفلاحة حتى السنين الاخيرة اذا ما عالجوا ارزاقهم وهيأوا بين الصخور والحصى شيئاً من التربة الزراعيَّة التجأوا الى السماد الطبيعيّ الذي ما كانوا يعرفون غيرهُ. الَّا انَّ اهل الدامور تنبَّهوا الى قصور هذا السَّماد عن وفاء الحاجة وسبقوا اللبنانيين في استحضار السماد الصناعي او الكيموي كما سبقوهم في جلب مياه الريّ الى اراضيهم فجلبوا كميَّة من هذا السماد من اوربَّة وبعد تجربته مدَّة سنتين على طريقة قانونيَّة تحقَّقوا ما في استعمالهِ من الفائدة اليوم عمّ استعمالهُ تلك الانحاء.

ولستُ أُريد بقولي السابق انَّ السواد الطبيعيّ او السرقين لا يصلح البتَّة فينبغي نفيهُ. كلَّا. لكنَّ فائدتهُ محصورة اذ يصلح فقط للاراضي التي ينقصها الفسفات. اما التربة الزراعيَّة فانها في حاجة الى غير ذلك من المواد المغذية المحسنة فانَّ بعضها تحتاج